تَدْقِيقُ النَّظَرِ

في أصول

التَّوَسُّلِ وَالإِسْتِغَاثَةِ

تَدْقِيقُ النَّظَرِ
فـي أصـول
التَّوَسُّلِ وَالإسْتِغَاثَةِ

جمع وترتيب
السيد الداعية
موسى الكاظم بن جعفر السقاف

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

توزيـــــع

دار الفقيـــه للنشـــر والتوزيـــع

أبوظبي هاتف : ٦٦٧٨٩٢٠ ٩٧١٢+ ، فاكس ٦٦٧٨٩٢١ ٩٧١٢+

دبي جوال : ٤٧٨٥٢٢٣ ٩٧١٥٠+

اليمن تريم ـ تلفاكس : ٤١٦٩٦٧ ٩٦٧٥+

جوال : ٧٧٧٤١٧٥٠٠ ٩٦٧+ ، ٧٧٧٤١٥٠٨١ ٩٦٧+

تصميم الغلاف

المساوى للدعاية والإعلان ـ 967 777339345+

بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

صدق الله العظيم . سورة المائدة آية ٣٥

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي لا معبودَ بحقٍ في الوجود سواه، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، العبد المحض الخالص الأوّاه، وعلى آله وصحبه ومن تبعه ووالاه، الرسول الذي أعطاه مولاه ما أعطاه وحباه ما حباه، قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، قال في الجلالين: «ولم يذكر المُوحَى تفخيما لشأنه». اهـ فسبحانه جل جلاله الذي خص نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بما لا يشاركه فيه أحدٌ عداه. وسمعتُ أحد أهل العلم نفعنا الله به أكمل الانتفاع يقول: إن ترقيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في النفس الواحد لا تحيط به عقول المخلوقين؛ لأن ثواب جميع الطاعات التي يعملها المسلمون يكون في صحيفته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مضاعفاً بدليل قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «**الدَّال على الخير كفاعله**» رواه البزار مختصراً ورواه مسلم ولفظه «**من دل على خير فله مثل أجر عامله**» وهناك روايات أخرى بألفاظ متعددةٍ لأبي داود والترمذي وابن حبان والطبراني في الكبير والأوسط ذكرها الإمام المنذري في «الترغيب والترهيب».

فحمداً لرب خصنا بمحمدٍ ... وأخرجنا من ظلمةٍ وديا جرِ
إلى نورِ إسلام وعلم وحكمة ... ويُمْنٍ وإيمانٍ وخير الأوامرِ

«وخير الأوَامِرِ» التوحيد العظيم الذي علمنا إيَّاهُ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في قوله: «**أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ..**» متفق عليه من حديث أبي هريرة. وسمعتُ أحد العلماء نفعنا الله به أكمل الانتفاع في الدنيا والآخرة عند ذكر هذا الحديث يقول: «الله هو الموجدُ الذي أوجد كل موجود، وقد قال سيدُ الوجود وهو يخاطب أهل العقول وينبه أهل الجمود ويحركهم بكلامه

العذب المورود داعياً لهم لترك هذا الجمود والانتباه للقصد والمقصود وأن يعْبروا من الوجود للموجود، وقال في إعلانه الشريف وخطابه المنيف، وإعلانه ذلك داع من دواعي التشريف، فيما جاء في الصحيحين أصدق كلمة قالها شاعرٌ كلمة لبيد – أسمعنا يا حبيب الله كلمة لبيد فسماعها منك أحلى وكلمة لبيد اكتسبت حلةَ فخرٍ منْ نطق سيدنا محمد بها قال إمام التوحيد: «**ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»اهـ .

فهذا التوحيد الذي غرسه النبيُ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في قلوب المسلمين عامة وأهل جزيرة العرب خاصة محفوظٌ من أي شيء يخدشه أو يمسُّهُ لقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «**إنّ الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب لكن في التحريش بينهم**» رواه مسلم واللفظ له ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه. ويستأنس هنا بحديث الحاكم وفي آخره قال: «**يا شدَّاد إنهم لا يعبدون شمساً ولا وثناً ولا حجراً ولكن يراءون الناس بأعمالهم...**» وفي إسناده عبد الواحد بن زيد متروك ويستأنس أيضاً بحديث ابن ماجه من رواية روَّاد بن الجراح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «**إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله، أما إني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية**» قال الإمام المنذري رضي الله عنه وفيه عامر بن عبد الله: لا يُعْرَف اهـ، قلتُ ورَوَّاد[1] أيضا مُخْتَلفٌ فِيهِ خصوصاً في ما يرويه عن سفيان الثوري. وباقي رواته ثقات كما هو معلوم اهـ.

فبهذه الأحاديث وغيرها يعرف المسلم أنه يستحيل شرعاً أن يصدر الشرك من المصلين بجزيرة العرب – نعم قد يوجد الكفر أو الردة والعياذ بالله سبحانه وتعالى، أما أن يتخذ المصلون في جزيرة العرب خاصة (للتنصيص عليها في الحديث) شريكاً من دون الله فذلك مستحيل شرعاً؛ لأنه يناقض حديث النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم المتقدم ذِكْرُه الذي رواه الإمام مسلم رضي الله عنه، وبذلك يعلم أن من وافق عمله عمل أهل جزيرة العرب عقيدة وعملا فحكمه حكمهم .

---

(١) وهو روَّاد بن الجراح العسقلاني انظر ترجمته في تهذيب التهذيب جـ٣ صـ٢٤٩.

وبما تقدم ذكره وبما سيأتي سيعرف طالب الحق المنصف أن مسألة (الاستغاثة[١]) بالأنبياء والصلحاء والتي يقول بعض الناس - هداهم الله سبحانه وتعالى - أنها شرك أو كفر، لا يوجد فيها أي ذرة من الشرك - طالما أن المسلمين يعتقدون أن النافع والضار هو الله سبحانه وتعالى الذي ليس كمثله شيء - لأن الأدلة التي يحتج بها البعض لمنعها، لا يصح الاستدلال بها كما ذكر ذلك علماء أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم - وسيأتي بيانه - ولأن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أمرنا بها كما سيأتي توضيحه بل قد ورد في الأخبار فعل الصحابة لها وكثير من خيار الأمة بما لا يدع مجالاً للشك عند طالب الحق المنصف في أنها لا تمسُّ أيَّ مساسٍ بصرح التوحيد الشامخ الذي بناه وشيَّده النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في قلوب المسلمين، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يكرمنا بما أكرم به الدعاة المخلصين والورثة الكاملين من خير الدارين وأحبابنا ومشايخنا في خير وعافية، وأن ينفعنا بما علمنا ويرزقنا العمل بما علمنا، ويعلمنا من لدنه علما إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين... وبعد:

فهذه رسالة في تبيين حقيقة (الاستغاثة[٢]) وتفصيل أدلتها وكشف القناع عن شبهها، رتبتها على هذه الكيفية:

١- المقدمة.

---

(١) وكذا التوسل والاستعانة والتشفع والتوجه.

(٢) فالاستغاثة لغة: طلب الغوث وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالى وحده كقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، وتارة يطلب ممن يصح إسناده إليه على سبيل الكسب ومن هذا النوع الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذين القسمين تعدى الفعل تارة بنفسه كقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، وتارة بحرف الجر كما في كلام النحاة في المستغاث به ، وفي كتاب سيبويه رحمه الله تعالى : فاستغاث بهم ليشتروا له كلباً - فيصح أن يقال استغثت النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستغثت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى واحد ..) اهـ التأمل للحميري. وقال صاحب كتاب (شواهد الحق) ((... والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به والغوث منه خلقاً وإيجاداً والنبي مستغاث والغوث منه سببا وكسبا ومستغاث به مجازا وبالجملة فإطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو سببا وكسبا أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعاً ..)) اهـ صـ١٠٣.

٢- ذكر بعض الآيات التي أنزلت في الكفار والمشركين، وحمل البعض لها على جمهور المسلمين وإبطال ذلك وكذا بعض الشبه التي فهمها أولئك الأقوام على غير معناها الحقيقي.

٣- أدلة أهل السنة والجماعة على جواز الاستغاثة.

٤- بعض الأدلة العقلية والاستئناسات التي يفهم منها الإنسان الخالي من الهوى صحة طريق أهل السنة والجماعة.

٥- الخاتمة.

المقدمة

اعلم يا أخي - هدانا الله وإياك إلى الصراط المستقيم - أن عقيدة أهل السنة والجماعة محفوظة من كل ما يخدشها من الشرك حسب ما سيأتي من ذكر أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبفضل رعاية العلماء رضي الله عنهم واعتنائهم برد كل ما يحدث من جديد يخالف العقيدة الصحيحة التي مشى عليها الصحابة والتابعون ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

ولكن إذا طرأ على الإنسان مفهومٌ جديد واقتنع به صعب بعد ذلك زوال ذلك المفهوم عنه وإن كان خطأ، وهذا من طبيعة البشر وكما قال القائل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ولذلك تجد بعض الناس عند ما يقرأ الآيات التي أنزلت في الكفار، أو يسمع بعض المتعصبين وهو ينزِّلُها على من توسل أو استغاث، تدخل عقله، ويعتقد أن ذلك هو الحق؛ لأن ظاهر الآية قد ينطبق تماماً في نظر الخالي عن العلم على نحو المتوسلين فترى البعض من هؤلاء الأقوام – هداهم الله تعالى – يقول لبعض العوام: إن هؤلاء الذين يستغيثون ويتوسلون بأصحاب القبور إذا سألتهم عن سبب ذلك يقول: أنا أعبد الله تعالى المحيي المميت، وإنما أتقرب إلى الله تعالى بواسطة هذا الولي، ثم يقول له أيضاً: وأنت إذا نظرت يا أخي إلى الكفار تجدهم قالوا نفس كلام هؤلاء المستغيثين والمتوسلين، فقد حكى الله عنهم في القرآن في سورة الزمر أنهم كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

فترى الكلام في ظاهره مطابقاً تماماً لما يقوله ذلك الشخص لكن ينسى ذلك الرجل أولاً أن معنى قوله تعالى: ﴿نَعْبُدُهُمْ﴾ **أنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم الألوهية والربوبية فيعبدونها، وينسى الفرق الهائل الكبير بين الاستغاثة والعبادة وبين**

التوسل بالشيء وبين عبادته، وينسى ثانياً أنْ يكمل الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

فانظر كيف كذَّبهم الله تعالى مباشرة بعد كذِبهم بأنهم إنما يعبدون تلك الأصنام لكي تقربهم إلى الله تعالى... إلى غير ذلك من أوجه بطلان دعواهم هذه التي ستأتي بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

ولهذا تجد أن ظاهر هذه الآيات قد يستسيغها الإنسان الجاهل ويسهل عليه تصديقها ويعتقد أن هذا هو الحق تماماً خاصة مع كثرة الداعين إلى مثل هذه الأشياء التي يتوصل بواسطتها إلى تكفير المسلمين وتشريكهم، فيعتقد العامي أن هذا هو الحق لأن أمامه آيات تتلى وأحاديث تقرأ دون أن يفسرَ أحدٌ له تلك الآيات أو يوضّح له معاني تلك الأحاديث وما يعارضها. وهكذا يمر الزمان.. فإذا جاء أحدٌ من دعاة أهل السنة والجماعة ليشرح له هذا الإشكال، ويوضح له ذلك التعارض ويحذره من مغبة تشريك الأمة ورميها بالضلال ينفر من ذلك ويصعب عليه تصديق كلام الداعي الجديد كيف وقد أدخلت في رأسه وعقله تلك الآيات- بمفاهيمهم الخاطئة فيها- على أنها هي العقيدة الصحيحة؟! وأن ما سواها هو الشرك الأكبر الذي يخلد صاحبه في نار جهنم إذا مات على تلك العقيدة فتصعب المهمة أمام الداعي والمدعو، ولكن من سبقت له من الله الهداية عاد إلى حظيرة أهل السنة والجماعة، وإلا فإن غالب من دخلت رأسه هذه العقيدة وتمكنت من قلبه فإن إعادته إلى حظيرة أهل السنة والجماعة مهمة صعبة جداً، ولكنَّ الله يرحم من عباده الرحماء، فارحم يا أخي كثيراً من إخوانك الذين يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله— ولكن أُشْرِبَتْ قلوبهم هذه العقيدة- وادعهم إلى طريق الصواب، وادعُ لهم إذا خلوت في جنح الظلام تناجي الملك العلام أن يعينهم الله على التغلب على ما وقر في صدورهم مما يخالف الحق، وأخبِرهم بأن التعصب على التمسك بهذه الفكرة ليس بالأمر الهين فربما أوْدى بذلك الإنسان إلى الوفاة على غير لا إله إلا الله — والعياذ بالله سبحانه وتعالى — وتمعَّن في أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم علَّمَنَا حرمة المؤمن العظمى وإثمنا الشديدَ عندما نَبْهَتُه بعيب ليس فيه فقال كما روى الإمام الطبراني رضي الله عنه بإسنادٍ جيد: ((من

ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه)) فإذا كان هذا يا أخي فيمن بَهَت مسلما بعيب، فكيف بمن يبهت جميع من لا يوافقه على الفكرة الخاطئة التي يحملها والتي نشأت من عدم ارتباطه بالعلماء الحقيقيِّين العدول، لا علماء السوء - والعياذ بالله - فتفكر يا أخي ببصيرة منيرة إن كنت تريدُ معرفة الحقِّ ومناصرة أهله، والابتعاد عن الباطل والبدع والأهواء ومحاربة أهلها لله تعالى لا محاربتهم وبغضهم لذواتهم ما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإنما للأعمال التي يرتكبونها ولا تكون على الكتاب والسنة، وانطواء بواطنهم على السوء والبغض والتحقير للمسلمين وبهذا ترحمهم.

وانظر إلى المصيبة التي أصيب بها المسلمون من جرّاء هذه التكفيرات والتبديعات، فتوجه إلى الله تعالى أن يرفع من صفوف الأمة ما حلَّ بها من كل ما لا يرضى المولى سبحانه وتعالى من تفرقة للمسلمين بل لأهل المسجد الواحد على أمور بعضها مجمع عليها ولكن دخلت على المسلمين الدواخل بسبب فتن آخر الزمان الموعود بها في أحاديث[1] النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وتيقن يا أخي أنه من المستحيل أن يمر الزمان هكذا يلعن آخر هذه الأمة أولَها، بل لا بد أن يُظهر اللهُ الحق.

واعلم أن ما قبل عصر ابن تيمية هم من الأوائل بل من خيارهم، فكيف يكونون على الشر؟ بل وأبشع منه وهو الشرك ! والرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم شهد لهم بالخيرية كما في الحديث الصحيح ((**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...**)) الحديث أخرجه البخاري في (فضائل الصحابة)، فانظر تراجمهم تعرف توسلاتهم وفقههم وفهمهم لهذه المسألة، ولا تكتف بأن تسمع من بعض الناس بأن الاستغاثة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون ولا من بعدهم ولكن انظر تراجم الصالحين والكتب التي يترجم فيها للعلماء وتفكر في استغاثاتهم أتكون شركاً؟! وكيف ينقل العلماء هذا الشرك ولا ينكرونه؟! مع خطورته وورعهم، ومن أمثلة ذلك ما قاله

---

(١) وذلك مثل حديث حذيفة الطويل الذي أخرجه البخاري في كتاب الفتن وفيه ذكر: ((**ظهور دُعَاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها....**)) الحديث .

الذهبي في (سير أعلام النبلاء) عن سيدنا معروف الكرخي رضي الله عنه: ((أن قبر معروف ترياق مجرب))، فما معنى هذه العبارة ؟ وأين هي من قول بعض الناس أن نداء الأموات والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم شرك أكبر، فسبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

الفصل الأول

في ذكر بعض الآيات التي أنزلت في المشركين وحملها أولئك الأقوام على جمهور المسلمين وإبطال ذلك وكذا بعض الشُّبه الأخرى

قال العلماء - نفعنا الله بهم- : ((إن هؤلاء الأقوام هداهم الله لجأوا إلى الآيات التي أنزلت (في المشركين وكفار مكة) وحملوها على جمهور المسلمين وهذا هو حال الخوارج كما قال ابن عمر. فقد ذكر البخاري في الصحيح في كتاب (استتابة المرتدين والمعاندين) قال: ((وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في المشركين والكفار فجعلوها على المؤمنين)). اهـ

- ووجه الشّبهة الواقعة في هذه الآيات التي يغرُّون بها العوام أنهم يقولون إن المشركين يؤمنون بالله وإنه الذي خلق السموات والأرض إلى غير ذلك مما صرحت به الآيات ومع ذلك هم يعبدون الأصنام ويؤلهونها من دون الله فيشبه الطرف المعارض المسلمين الذين يؤمنون بالتوسل والاستغاثة وهم أيضاً يؤمنون بالله بأولئك الكفار فكيف نفرق بين الطرفين ؟

والجواب: من أوجه

(١) **الوجه الأول**: أن إيمان الكفار بالله تعالى لا ينفع مع كفرهم بأمور الإيمان الأخرى من الحوض والجنة والنار والصراط واليوم الآخر وإنكارهم البعث فمثلهم كمثل الشيطان الذي هو مؤمن بالله وكمثل اليهود والنصارى يؤمنون بالله فلم ينفعهم ذلك الإيمان بشيء اهـ .

(٢) **الوجه الثاني**: أن الكفار مع إيمانهم بالله تعالى أضيف إليه تآليههم للأصنام واتخاذها آلهة كما قال تعالى في سورة (ص): ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[ص: ٥]، ولم يفعل المسلمون الذين يؤمنون بالتوسل والاستغاثة شيئاً من ذلك التأليه ونحوه .

(٣) **الوجه الثالث**: أن الكفار الذين يؤلهون الأصنام يعتقدون أيضاً أنها تنفع وتضر من دون الله وأما المسلمون الذين يتوسلون ويستغيثون فإنهم يعتقدون في الأولياء

والصالحين حسن ظن منهم إنهم أقرب إلى الله منهم فقط وليسوا بآلهة ولا ينفعون ولا يضرون من دون الله تعالى فَحَمَلَهُم حسنُ ظنهم هذا فيهم إنهم يتوسلون بهم إلى الله وفرق بين الطرفين كما بين السماء والأرض اهـ .

قال العلماء - رضي الله عنهم-: وهذا الاستدلال بهذه الآيات على منع الاستغاثة وتشريك الأمة غير صحيح ولا يجوز شرعاً؛ لأن الآيات التي يوردها أولئك الأقوام على من استغاث أو توسل من جماهير المسلمين لا تزيد على خمسين آية من مجموع الآيات التي أنزلت في الكفار والمشركين ونحوهم والتي يزيد عددها على مائة وإحدى وتسعين آية، فلا يجوز أن تحمل تلك الآيات الخمسون ونحوها على جمهور المسلمين؛ لأن ظاهرها يوهم العامي أنها أنزلت ترد ما يفعله المسلمون من الاستغاثة والتوسل ونحوها وتُترك الآيات الأخرى التي تدحض أن يكون هناك أي تشابه أو تماثل أو تقارب بين الفريقين، يُجوِّز لهم أن ينزلوا تلك الآيات على المستغيثين أو المتوسلين من المسلمين.

ومن تلك الآيات التي أنزلت في كفار قريش ونحوهم ولا يستطيع أولئك الأقوام أن ينزلوها على المستغيثين أو المتوسلين لأنها تدحض دعواهم وتردها قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الرعد: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[سبأ: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٧-٥٩] وغير ذلك من الآيات.

فهل ترى بأي دليل أم بأي تفسير حُملت تلك الآيات على المسلمين التي ظاهرها أن الكفار إنما يعبدون الأصنام ليتقربوا بها إلى الله وتُركت هذه الآيات المذكورة آنفاً من حملها على المسلمين مع أن كل تلك الآيات قد أنزلت في كفار قريش، فإن قال قائل: إنما

حملت الآيات التي وافقت ما يعمله المسلمون من الاستغاثة والشرك وما لم توافق ما يفعله المسلمون من الكفر باليوم الآخر ووأد البنات ونحوهما لم أحمله عليهم.

فالجواب: أن ما اعتقدته شركاً إنما هو في خيالك فقط وفي نظرك الذي لم يتسع ومن عدم اطلاعك على كتب الأئمة وكلام أهل العلم؛ لأن هذا الذي يعمله المسلمون من الاستغاثة ونحوها قد وردت فيها أحاديث صحيحة من فعل الصحابة والتابعين وعملها العلماء الأبرار بل ومن تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لأمته وذلك كما في حديث الأعمى فكيف يكون شركاً؟!.

ومن عدم فهم هذه الآيات وعدم الرجوع إلى العلماء الثقات قال بعض المتعصبين[1] إن أولئك الكفار الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا باليوم الآخر أفضل من المستغيثين؛ لأن أولئك الكفار مع الشدة يلجئون إلى الله، وهؤلاء المستغيثون والمتوسلون يلجئون إلى أصحاب القبور. فهل يعتقد هؤلاء الناس أن كفار قريش كأبي جهل وأبي لهب وشيبة وعتبة ابني ربيعة وسواهم من أئمة الكفر، أفضل من ابن حجر العسقلاني والنووي والقرطبي والبكري والشعراني وغيرهم من أعلام أهل السنة والجماعة الذين نقلت لنا استغاثاتهم أو نقلوا استغاثات غيرهم وأقروهم عليها؟! كما سيأتي فهل يستطيع مسلم أن يقول هذا ؟ نعوذ بالله من الجرأة على أئمة الدين ومن الفهم السقيم.

ومن تلك الآيات التي استدل بها أولئك الأقوام على أن أولئك الكفار مؤمنون بالله وبذلك هم موحدون توحيد ربوبية الذي هو اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ

---

(١) قال هذا الكلام المُرّ أحمد القطان، ومحمد الزين في كتاب (موعظة المؤمنين)، ويُردّدُ هذا الكلام بعضُ أتباعهم مسجل بأصواتهم في أشرطة الكاسيت المنتشرة في محلات التسجيلات.